القمنى

ومسؤولية العقل الغربي!!!

على حست الفواز

يبدو ان محنة سيد القمني ستّأخذ ابعاداً اكثرُ تعقيدا في الحراك الثقافي، ليس لان البعض وضعها كشكل من اشكال محنة الثقافة العربية ، قدر انها تكشف عن اشكالية قراءتنا للثقافة كموقف وكجزء من حرية التعبير والحوار والوعى وتأسيس الاسئلة في ضوء قوة هذه الثقافة وقوة حاضنتها ، لان الثقافة لا سلطة حقيقية لها، انها شيء جوهري وحيوي في العلاقات وفي الروح وفي المعنى ،،وهذا ما يجعل كل الافكار وكل القيم امام صناعة خاصة لخطاب ثقافي تكمن قوته في انه يصبح سلطة وليس جوهرا... ان البعض اسبغ على محنة سيد القمني، وهـو

المشاكس القديم لخطابات الثقافة الاصولية، طابعا يتعلق بحروب الافكار، والبعض الاخر وضعها في . اطار أزمة المثقف ازاء الايديولوجيا وازاء سايكُولُوجيا القوة، لكن محنة سيد القمني في حقيقتها هي محنة الحوار الثقافي /الفكّرى ،،محنة جدلية الصراع بين الذات والاخر،، محنة المثقف الذي يؤسس لحريته مشروعا ووعيا واسئلة خارج معطيات الواقع الشعبية والحكومية ،،هذا الواقع غير المشبع بمادية وعيه االأشكالي آزاء وعي الاخر الذي يحاول ان يفرض شروطه عبر اشكالً متعددة، حضارية ،صناعية ، تعليمية وعسكرية، ولعل احتلال العراق من قبل القوات الامريكية هو محاولة لفرض شكل من اشكال هذه الشروط في الحوار والاصلاح. ان أزمة الحوار مع الاخر أنتجت تاريخا اشكاليا فيه الكثير من النكوصات بدءا من عصرالتنويرالاول في نهاية القرن الثامن عشر والى اليوم مثلماً انتجت تصوصاً اشكالية هي الاخرى اصبحت مثارا للجدل مثل كتاب علي عبد الرازق (الاسلام واصول الحكم) وكتاب طة حسين عن الشعر الجاهلي وغيرها، كما انها انتجت نموذجا لمثقف اشكاليّ يصطف مع الاخر في سياقه الفكري والمكاني ، وربما يجد بحكم مرجعياته الثقافية والنصوصية تحققات الحوار في مشروع الحرية والنظام الاجتماعي والمعرفي والمادى في مجال الوفرة والمعيش فضلا عن علائقه

باليات السلطة والرقابة وانتاج الافكار والكتاب... ان وضع محنة سيد القمني خَارج سياقها الاشكالى والصراّعي سيجعلها مثارًا لفتّنة خطيرة، تجعل الفكر العربي الاسلامي امام خيارين، اما ان تكون مع الذات المتورطة في ازمة صراعية معقدة لها معطياتها على ارض الواقع، واما ان تكون مع مرجعيات الاخر ذات الجرعات الايهامية العالية، اذ يجد الكثيرون ان الحضارة الغربية لم تسوّق لنا نموذجا صالحا ، فهي التي انتجت ما يسمى بحكومات الانقلابات العسكرية وابقت عليها . لسنوات طويلة وسكتت عن الكثير من ممارساتها القمعية في مجال تصفية الحرية العامة والقمع الفكري مثلما هي مسؤولة عن استمرار أنماط الدول ذات الكاريزمات الخاصة، فضلا عن مسؤليتها عن تعليق حل القضية الفلسطينية

ان مُثقفَّى التنوير والعلمانية الذين اسسوا لخطابهم مسارات قديمة في قراءة ازمة الفكر العربي والتعاطي مع اشكالاته ، كانوا يجاهرون بخطابية هذا الفكر دونما ازمة مع الاخرين، وسط عالم سياسي كوني تسوده اطمئنانات مغشوشة ، اقترنت بوجود نوع من الشعارات الرومانسية التي كانت تروج لما يسمى بثورات التحرر الوطني والقومي والتي انتجت نماذج لحكومات رغم نزعتها الانقلابية لكنها ذات اشباعات شعبية: عبد الناصر في مصر ، عبد الكريم قاسم في العراق،

وكذلك عن انتاج ما سمي فيما بعد بالاسلام

بومدين في الجزائر، الحبيب بورقيبة في تونس. لذا فان بروز ما يسمى بثقافة المحنة يقابلها انهيار رومانسية التحرر الوطني القومي واكتشاف خوائها، وانهيار نموذج القائد الشعبي !! وصعود الصراع الوجودي مع الاخر الى الذروة بعد فشل نظريات الاصلاح التّقليدية ، ونموذج الحكم التوفيقي !! وتفشى مظاهر الفقر المادي والثقافي ،، فضلا عن بحاد قاعدة علمية وموضوعية لتنمية حوار الافكار وخلق قواعد اساسية للتنميات الثقافية والتعليمية والتي كان من شأنها ان تنتج قاعدة مَّادية حقَّيقة لموَّاجهة تداعيات الزمن السياسي الاشكالي المعاصر، او انها تقيم معه حوارا متوازناً

بعيدا عنَّ الكوارث التي انتجها !! ان ازمة سيد القمني وأزمة الخطاب التنويري !! هي زمة العقل الغربي الذي اغفل قراءة الشفرة الصراعية في المكان العربيّ الاسلامي، واسس عبر الكثير من اشكالاتها محيطا قابلا للتفجر والانهيار لذا نجد ان مسؤولياتنا تقتضي اعادة قراءة الكثير من الملفات والطويات التي أُنتجت خرابنا المعاصر وانتجت لنا مفهومات معقدة للحرية والوجود والعقائد والفكر والسلطة والعدل والحاكمية مثلما كشفت لنا عن سوء ادارة العقل الغربى للكثير من الازمات وتعاطيه غير الموضوعي مع حقّائق وتفاصيل ينتمى اليها الانسان العربي الأسلامي في لاوعيه المدجنَّ وغير المتحرر تماماً "، والذي اسهم في تأجيج هذ النكوص الاحتجاج المخلوط وعيه بسايكولوجيا الاعتداد بالنفس والحضاظ على المقدس والايهام بالقوة المضادة ، مثلما كشف لنا عن خراب ثقافي مسؤولة عنه الحكومات والمؤسسات الثقافية والدينية التي كانت تمارس وعياً توفيقيا وتطرح انصاف حلول مع

ازمات وجودية خطيرة

ما زال خلفي...

كلما امشى...

واذا وقضت..

هي حانة وخرجت منها..

شركاء حفلي غادروا..

مشی..

وقف

 $\diamond \diamond \diamond$

ذابلاً..

متوعكاً..

ومدينتي نامت..

صدر عث (

ذاكرة غانياتي الصزينات



غابوييك غاوسيا صاوكيز ترجمة: صالح علماني

في التاسع والعشرين من اب يكون بطل رواية "ذاكرة غانياتي الحزينات" لماركيز قد اكمل التسعين من عمره. وماركيز في روايته هـذه التي صـدرت عن دار (المدى) حديثاً بترجمة صالح علماني يرسم صوراً لحياة مجاورة لحياة البطل الذي يروي حكايته ملتذأ ومغبونا ومصابآ بالخوف الدائم من الموت القريب بعد ان عاش حياته الحافلة

من شيء سوى من الملل ذاته. في عامَّة التسعين قرر الراوي العليم ان يكتب حكايات

صديقاته جميعاً، الصديقات الحميمات اللواتي مررن به، بعضهن غادرنه الى غير عودة، وبعضهن مثل (كاسيلدا ارمينتا) قد قابلته ودعته إلى بيتها وقد بلغت الثالثة والسبعين من العمر . حيث جلسا يستذكران الدنيا قبل نصف قرن حتى يومنا ذاك.

لا تمنحك رواية (ذاكرة غانياتي

الحزينات) نفسها هكذا ببساطة لانها مدونة بطريقة اظهار جزء من المعلومة واخضاء الباقي ثم اظهاره بعد حين، هي رواية اشبه بلعبة حظ في رسم الاحداث من دون تسلسل ولكنه رسم موصوف موضوع مقدماً من قبل الروائي الكبير (غابرييل غارسيا ماركيز) فما يشرق في طفولة الصحفي من تجارب صادمة بالجنس يظهر في النهاية ولكنه يبرر ذلك الهوس بالجنس الآخر ومراقبة حياته السرية والانغمار بها ويعطيك الف سبب لعدم دخول الراوي مؤسسة الزواج بل وخذلانه لها ليلة عرسه حيث نظمت له صديقته الأثيرة (روسا كابا ركاس) حفلة خاصة جمعت فيها الكثيرات من الغانيات ومنعته متعة تلك الحفلة من الذهاب إلى مثابة العرس وقبله التحديد الكنسى لهوية العريسين، وبذلك ضاع آخر امل له بزواج لا يريده مهتماً بحياته كصحفي محترف في مؤسسة صحفية اصبّح يعايش

فيها رئيس التحرير من الجيل

علاقته بالصبية ديلغادينا التي كان يعاملها كعاشق متتبل لا الثالث (ويدعى ماركو توليو الثالث)، أجل فقد تسلم رئاسة يحصد من عشقه وحنانه سوى التحرير حفيد رئيس التحرير .. زيادة ذلك العشق وذلك الحب من دون ان يحصل من كل لقاء الا الأول الذي عمل معه بطلنا اول مرة وبذلك عاش اكثر من جيلين على همهمة واعدة او شبه موات في مؤسسة واحدة كان احتِفالها به وقد بلغ التسعين كبيراً وكان او استنهاض لذكرى ماضية.كان قدره مع الصبية ديلغادينا - وهو بطلنا قد قرر الاستقالة من عمله اسم اختاره لها من دون ان يعرفِ بعد هذه السنوات لكن ماركو اسمها الاصلى - ان يظل متأملاً توليو اصر عليه ان يستمر وقد لتوهجها مانحا ومعطيا ومهتما فعل مضطراً لان تلك الصحيفة وخسرانا دائماً فلم تكن واحدة كانت جـزءاً من تـاريخه ومن من غوانيه الحزينات بل كانت حياته وكان يومها قد تلقى هدايا عاملة مصنع ارتضت أن ترهن العاملين معه، حملت السكرتيرات ذاتها لليال له من دون سواه دون قالب حلوى بودين عليه شارة ان يستطيع معها شيئاً.. تلك هي الميلاد واهدينه ثلاثة سراويل الحياة عند بطلنا، ليست ربحاً داخلية حريرية عليها اثار قبلات مطبوعة وبطاقة يعرضن فيها دائماً ولا خسارات دائمة بل سنوات تمضي بكل ثقلها والحياة قيامهن بخلع السراويل عنه "ليست شيئاً يمضي مثل نهر وتلقى اسطوانة تضم افتتاحيات هيرا قليط (حيث لا يسبح المرء شوبان الاربع والعشرين وكتبأ في النهر مرتين، وانما فرصة رائجة وهدايا اخرى وتناولت الاذاعات المحلية سيرة صحفي لقلينا على الشواية ومواصلة شواء جانبنا الاخر لتسعين سنة القرن اضافة للصحف الاخرى. كانت حياة رائقة تماماً التصقت بقضيتين اساسيتين اضافة

للقضية الكبرى، القضية الأولى

السائرة مع الحياة اليومية

علاقته بطباخته داميانا التي

احبته بصدق ولم يبادلها

عواطفها بل استخدمها كجسد

فقط، والقضية الاخرى علاقته

القديمة بروسا كابار كاس. وهي

عجوز صاحبة محل عام مهدت له

العلاقة الاثيرة والغريبة وهي

وكان ابرز حدث نفذه الصحفي العجوز انه كتب كل ما يملك للصبية ليلة ميلاده الحادية والتسعين وهو يستعد لموت قادم (افترضه) وكان سعيداً باستقباله فقد يأتي الآن او غداً او عند المئة ولكنة آتَّ حتماً وما فعله هو تعبير عن انسلاخ ومحاولة لانعتاق من مسيرة إلى اخرى منتظرة لا بدرك كنهها.

النظام الثقافي العربي الراهن

عبد الحيار الرفاعي

(٢)

ازواج مفهومية:

تداول خطاب النخبة العربية منذ القرن التاسع عشر مجموعة مفاهيم تمت صياغتها بصورة تبدو متقابلة متضادة، ينفى احدها الآخر، من قبيل الدين والعلُّم، الدين والدولة، الدين والفلسفة، العقل والنقل، الاصالة والمعاصرة، التقاليد والحداثة، الانا والآخر، الدين والقومية، الاسلام والعروبة، القومية والوطنية، الوحدة والاختلاف، الحضارة والبداوة... وغيرها.

وشاعت تفسيرات مختلفة لهذه المفاهم، تبعاً للاختلاف المرجعي في تناولها، فالليبرالي يحدد مدلولاتها في اطار رؤيته وثقافَّته، وهكذا الماركسي، والقومي، والاسلامي، والانشربولوجي، وعالم الاجتماع، فنجمت عن ذلك التباسات حادة بين هذه المضاهيم ومدلولاتها المتنوعة، استتبعها تشوه وعي المجتمع وانقسامه إلى افواج تتعدد بتعدد الشروح المتباينة لهذه المفاهيم.

ويحيل احد المفكرين العرب هذه الظاهرة إلى نزعة مترسخة لدينا، فاننا، "لو تعمقنا في ضمائرنا، لوجدنا هناك مبدأ راسخاً، عنه انبعثت ولا تزال تنبعث، سائر احكامنا في مختلف الميادين، هو مبدأ، لو عرضته على الناس في لغة واضحة صريحة، لما وجدت منهم احداً يحتج او يعارض، واعنى به مبدأ الثنائية التي تشطر الوجود شطرين، لا يكونان من رتبة واحدة، ولا وجه للمساواة بينهما" وقد اسرف الفكر العربي الحديث في تعميم هذه الثنائية في تحقول الفكر المتنوعة، وسادت الحياة الفكرية نزعة احادية، لا ترى من الحقيقة سوى احد ابعادها وتختزلها دائماً في هذا البعد فقط، وتشدد على افتعال المضارقات والتناقضات بين المفاهيم والافكار، فيغدو العلم مناقضاً للايمان، والاصالة

مناقضة للمعاصرة... وهكذا.

واستبدت هذه النزعة في تفكير النخبة العربية وتناقلتها اجيال متعددة من المثقفين العرب، واعادت انتاج المفارقات بصيغ شتى، طالما اكتست باقنعة لفظية،

افضت إلى غموض في مدلولاتها.

وبموازاة ذلك ولد اتجاه توفيقي يبحث عن اوجه الشبه ومواطن اللقاء بين تلك الازواج المفهومية التي ترسخت في الفكر العربي الحديث. ومثلما اسرف الاتجاه السابق في تعميم الازواج المفهومية، واخراجها بصور متنافية، اسرف هذا الاتجاه في البحث عن المقاربات بين المفاهيم المتنافية، والتمس شتى السبل بغية الجُمع مهما امكن "خير من الطرح" - حسب تعبير الاصوليين - وكأن الاتجاه التوفيقي يستعيد منطق الفارابي في "الجمع بين رأيي الحكيمين" الذي اسس للمنحى التلفيقي في التفكير الفلسفي عند الاسلاميين، عبر تأكيد التصالح والانسجام بين عقلانية ارسطو وغنوس مدرسة الأسكندرية.

ان مثل هذا التوفيق ينتهي عادة إلى مزج تعسفي بين الاضداد، ويتحول إلى تلفيق مشوه يلتقط بعض المركبات الذهنية من الفكر الغربي، ثم يسكبها في مصاهر التراث، فيولد منها أفكاراً هجينة مقطوعة النسب، لا تجسد ابداعاً حقيقياً، وانما تعمل على تشويه الوعى واقحام العقل في سجالات متوالية.

اما التوفيق الذي يحلل المركبات الذهنية المتنوعة، ويفحصها ويغربلها بدقة، ليقف على الخصائص النوعية لعناصرها ومكوناتها الاساسية، ويتعرف على سمات كل واحدة منها، والاطار المعرفي الذي تخلقت في فضائه، ثم يلاقحها بعناصر اخرى تتعادل معها في مركب متجانس، تتسق مكوناته بانسجام وتوازن، فان هذا التوفيق لا يعمل على تناشز المفاهيم، وخلق افكار مضطربة هجينة، وانما يؤدي إلى تضاعل ايجابي بين مظاهر التفكير الانساني، فيوجد ابداعات العقل في نسق منتظم، تتناغم مكوناته في ايقاع مشترك، مهما تباعدت

مواطنه وتنوعت تجلياته. صورة النظام الثقافي:

الآراء ومعالجة الاشكاليات، في ضوء

المفهومات المرجعية لهذا او ذلك التيار. لما اتاحته له ادواته الجديدة.

غيران طيب تيزيني يتمسك بالماركسية التقليدية في بحثه، بينما يقوم حسين مروة بمحاولة تلفيقية يركب فيها بين التراث الاسلامي والمادية، وهذا ما دعاه لشجب مواقف بعض المثقفين العرب الذين بشروا بانقطاع الفكر العربى هذه المواقف بانها نوع من الدعوة للايديولوجية البرجوازية الغربية، وتوجيه للجيل العربي نحو الانواع العدمية من ثقافة الغرب البرجوازية خاصة. كما صرح بذلك بقوله: "المبشرون عندنا اذن بنظرية الانقطاع ما بين ثقافتنا العربية المعاصرة وبين تراثها الفكري، لا يقصدون توجيه الجيل العربي نُحو التكنيك العلمي الغربي، بل

والدوامات التي اعترضت طريقي كالبرك.

يتسع الفكر العربي الحديث ليشمل عدة تيارات تنخرط في مرجعيات مختلفة، فَمَنَّهَا الْأَسْلَامِي، والليبرالي، والماركسي، والوجودي... وغير ذلك، ويتلون كل واحد من تيارات الفكر العربي بالوان متنوعة، تتنوع تبعاً لطرائق المفكرين في بيان

> وقد انتهج الفكر العربي المعاصِر، منذ ما يزيد على نصف قرن، منهجاً اقتفى به خطى سلفه "الفكر العربي الحديث" في تداول الآراء والاشكاليات ذاتها، غير انها اصطبغت لديه بصبغة جديدة، بعد ان استعار المفكر والمثقف العربى المعاصر ادوات اخرى للقراءة، اعاد عبرها قراءة النصوص السابقة بنحو مختلف، فاستأنف بناء الآراء والاشكاليات طبقاً

ففي الماركسية مثلاً نلتقي بعدة قراءات، ارتقى بعضها إلى مستوى المشروع الذي يحاول تفسير التراث في ضوء المادية . الجدلية، كما في محاولة طيب تيزيني التي عبر عنها بـ "مشروع رؤية جديدة للفكّر العربي منذ بداياته حتِّى المرحلة المعاصرة" في اثنى عشر جزءاً واستهلها بكتاب "من الترّاث إلى الثورة: حول نظرية مقترحة في قضية التراث العربي". ومشروع حسين مروة حول النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية".

نحو الايديولوجية البرجوازية الغربية، نحو تلك الانواع العدمية من ثقافة الغرب البـرجـوازّي بخـاصـة، والغـرض الاساسى الذي يرمون اليه هو ابعاد هذا الجيل عن مشكلات بلاده، ذات السمات والاتجاهات التي تحددها ظروف المعركة التحررية التقدمية القائمة الآن في بلاد العرب باقصى حدتها".

وفي سياق مختلف يدعو الياس مرقص إلى تبني ماركسية مشبعة بالعلوم الانسانية الغربية، ومستلهمة المعطيات النقدية والمكاسب الراهنة لهذه العلوم.

ويطور مهدى عامل فهماً للماركسية، يتجاوز الفهم التقليدي، مستنداً في ادواته إلى المنهج البنيوي في قراءة الماركسية، الذي اشاده المفكّر الفرنسي

التوسير. ويواصل المفكر عبد الله العروي دعوته لأشاعة العقلانية، باعتبارها السبيل الوحيد لخروجنا من التخلف والتبعية، هذه الدعوة التي تبلورت باكراً لديه، منذ كتابه "العرب والفكر التاريخي" وتعمقت وتكاملت صياغتها النظرية في كتابه

المفارقات الذي يميز فيه بين نمطين من العقل، هما: عقل الاسم وعقل الفعل، فيصف الاول بانه هو العقل المطلق المتعالى على الواقع، اما عقل الفعل فهو العقل الواقعي الذي يعطله عقل الاسم. وينبه إلى ان لا سبيل لتأصيل عقل الفعل إلا بنقض عقل الاسم. وكانت اعمال العروي الاولى تصطبغ باتجاه ماركسي، يتمسك بالمقولات التقليدية للماركسية، ولذا نجده يشدد على النسبية التاريخية للافكار، وغيرها من المقولات في كتابه "الايديولوجية العربية المعاصرة"، لكنه كان اكثر تحرراً من تلك المقولات في اعماله المتأخرة، التي تسلحت برؤية نقدية اعمق من سابقاتها، حتى طال نقده الانتاج الفكري لمواطنيه المغاربة الذين بهرتهم المناهج الراهنة في الدراسات الانسانية الغربية، والفرنسية منها بالذات، لاسيما ما يكتب حول الابستيمولوجيا، فوجد انها اشبه بالت صوف منها

الاخير "مفهوم العقل: مقالة في

واعضائي تُجمع في طريق كى تُبعثرية سواه.. وبالدخان.. سوى خطى قدمي عابثة.. وخطوته المريبة من ورائي.. ما سألت.. ومن سأسأل ٩٠٠.

والدسائس..

مشيت مرتعداً تحيط بي الوساوس..

وخطوته على الاسفلت تنقصها الرشاقة.. ولا خطى في ذلك الليل المشبع بالخمور.. لم اكن ادري لماذا كان يتبعني.. ما التفت..

ولكن الذي ادريه انه لم يزل .. يسمى ورائي. كلما امشي.. واذا وقفت.. وقف.

وظلاله خلفي..

